

حَمْدُ مِصْنَانِ بَيْنَ الْإِغْتِرَارِ وَالْإِنْكَسَارِ



مَنْقُولٌ مِنَ السَّجِيلِ الصَّوْتِيِّ لِلشَّيْخِ الدُّكْتُورِ
صَالِحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدٍ الْعُصَيْمِيِّ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِإِسَائِمِهِ وَلِأُمَّتِهِ

محفوظة
كل الحقوق

لا يسمح بطبع أو توزيع أو غرض تجارية
أو ترجمته أو اقتصاره دون موافقة خطية

للإعلام بخطأ طباعي أو الاستدراك أو إبداء رأي؛

يُرجى المراسلة على البريد الآتي : Abdellahdj24@gmail.com

الكتاب والموعظة

حَمْدُ مَضَائِكِ

بَيْنَ الْإِغْتِرَارِ وَالْإِنْكَسَارِ

مَنْقُولٌ مِنَ السَّجِيلِ الصَّوْتِيِّ لِلشَّيْخِ الدُّكْتُورِ

صَالِحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدٍ الْعُصَيْمِيِّ

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِإِسَائِيهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

النُّسخة الأولى
١٤٤٥

الشيخ لم يُراجع التفريغ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله وسلّم على عبده ورسوله محمّد
وعلى آله وصحبه أجمعين.

أَمَّا بَعْدُ:

فإنّ للنّاس بعد مواسم الطّاعات وأوقات الخيرات حالان اثنتان، يتحل
كلّ واحدةٍ منهما فئامٌ كثيرٌ من النّاس:

- إحداهما: حال الاغترار.

- والأخرى: حال الانكسار.

❖ فأمّا (حال الاغترار) فالمراد بها: أنّ العبد يستكثر ما قدّمه من عمل،
فيصير متنفّساً به، متكبراً على غيره؛ فهو ينظر لنفسه بالزُّهو والفخر أنّه عمل
وعمل وعمل، فصام وقام وقرأ وتصدّق واعتمر! وينظر إلى غيره بالازدراء
والعيب بأنّهم مفرطون ومقصّرون، ولم يعملوا كما عمل، وأنّهم بعيدون عن
ربّهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى!

وهذه الحال حالٌ مذمومةٌ؛ فقد حذّر منها النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «لَا
تَغْتَرُوا»^(١) أي لا ينبغي للعبد أن يغترّ في كلّ ما يتعلّق به، ومن جملة ذلك:

(١) أخرجه البخاريّ (٦٤٣٣)، من حديث عثمان بن عفّان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أعماله الصالحة.

فأعماله الَّتِي قَدَّمَهَا فِي مَوَاسِمِ الطَّاعَاتِ - مِنْ صِيَامٍ، وَقِيَامٍ، وَصَدَقَةٍ، وَقِرَاءَةٍ لِلْقُرْآنِ، وَذِكْرِ اللَّهِ، وَدَعَائِهِ، وَاسْتِغْفَارِهِ - لَا يَنْبَغِي أَنْ يَغْتَرَّ بِهَا؛ لِأَنَّهَا - وَإِنْ كَثُرَتْ - فَهِيَ فِي حَقِّ اللَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** قَلِيلَةٌ، وَعَاقِبَةُ الْاِغْتِرَارِ وَخِيمَةٌ.

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» أَنَّ رَجُلًا عَابِدًا رَجُلًا قَالَ لِرَجُلٍ أَسْرَفَ عَلَى نَفْسِهِ بِالذُّنُوبِ: «وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللَّهَ **تَعَالَى** قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ إِلَّا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟! فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَبْتُ عَمَلَكَ»^(١)، وَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ»: «وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخِرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ»^(٢) أَيِ خَذُوا ذَلِكَ الْعَابِدَ الَّذِي اغْتَرَّ بِمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَالِ، وَرَأَى أَنَّ مَنَازِلَتَهُ الْجَنَّةُ وَأَنَّ مَنَازِلَةَ غَيْرِهِ النَّارُ فَصَارَ مُتَحَكِّمًا فِي خَلْقِ اللَّهِ فِي عَوَاقِبِهِمْ، فَعَاقِبَهُ اللَّهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بِأَنْ أَدْخَلَهُ النَّارَ.

وَقَدْ قَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ الْحَسَنَةَ فَيَدْخُلُ بِهَا النَّارَ!»^(٣)، وَوَجْهُ ذَلِكَ: أَنَّ عَامِلَ الْحَسَنَةِ فَرَحَ بِهَا وَتَكَبَّرَ، وَصَارَ يَمْنُهَا عَلَى اللَّهِ وَعَلَى خَلْقِهِ؛ فَإِذَا جَاءَ مَوْسِمٌ مِنْ مَوَاسِمِ الطَّاعَاتِ وَقِيلَ لَهُ: صُومَ عُرْفَةَ يَكْفُرُ السَّنَةُ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةُ الَّتِي بَعْدَهُ، قَالَ: قَدْ صُمْنَا رَمَضَانَ! وَإِذَا قِيلَ لَهُ: تَصَدَّقْ فِي كَذَا

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٦٢١)، مِنْ حَدِيثِ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٩٠١)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(٣) ذَكَرَهُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ، انْظُرْ «مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى» (٤٥ / ١٠).

وكذا، قال: قد تصدّقنا في رمضان! وإذا قيل له: لماذا لا تقرأ شيئاً من القرآن؟ قال: قد قرأنا في رمضان! فهو لا يزال يذكر أعماله، يمينُ بها على ربّه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ويمينُ بها على خلقه، ويرى أنّ له حقاً ومنزلةً ورتبةً!

فهذه الحال المردولة المخدول صاحبها عاقبتها وخيمة؛ لأنّها تؤدّي بصاحبها إلى النار.

فينبغي أن يحذر العبد من أن يكون مغترّاً بعمله، وأن يعلم أنّ عمله الذي قدّم هو نزرٌ يسيرٌ من قدرٍ كثيرٍ واجبٍ للغفور الكبير **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

فالأعمال التي نعملها لا تُقابل النعماء التي نحن فيها؛ فالمرء إذا نظر إلى نفسه، وكيف ركب الله **عَزَّوَجَلَّ** صورته، وما جعل له من الآلة من سمع وبصر وعقل، وما آتاه من لسان، وما متّعه فيه من مالٍ وزوجةٍ وبنين.... إلى غير ذلك من أنواع النعماء الخاصة والعامة = عرف أنّ العمل منه هذا شيءٌ يسيرٌ.

وأحدنا يعمل في دائرة حكوميّة أو أهليّة ساعاتٍ طويلة، ليأخذ في شهره عشرة آلاف، أو عشرين ألفاً، أو ثلاثين ألفاً، ويكون عمله عادةً من ثمان ساعاتٍ إلى عشر ساعاتٍ؛ هذا عملك لخلق الله، فكيف عملك لله؟! وكم ينبغي أن يكون لك من العمل عنده حتّى تأخذ من الجزاء منه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**؟! فكما تنصب في طلب الدنيا في وظيفةٍ تسع ساعاتٍ وعشر ساعاتٍ، هل تنصب لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ساعتين من يومك؟

كُلُّ أَحَدٍ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ، لَكُنَّا مَهْمَا أُوتِينَا مِنْ عَمَلٍ، لَا نَقَابِلُ نِعْمَاءَ اللَّهِ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَيْنَا.

❖ وَأَمَّا (حَالُ الْإِنْكَسَارِ) فَالْمُرَادُ بِهَا: أَنْ يَنْكَسِرَ الْعَبْدُ لِلَّهِ، وَأَنْ يَعْلَمَ أَنَّ مَا
هُوَ فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ مِنَ اللَّهِ.

فَالَّذِي هِيَ أَكْ لِلْإِقْبَالِ عَلَى الصَّلَاةِ، وَحُضُورِ مَجَالِسِ الذِّكْرِ، وَالْقُدْرَةِ عَلَى
الصَّيَامِ، هُوَ الَّذِي خَذَلَ آخَرِينَ مَنَعُوا مِنْهَا.

فَفِي رَمَضَانَ يَفْطُرُ أَنْاسٌ لَا يَصُومُونَ، وَفِي رَمَضَانَ يَنَامُ أَنْاسٌ لَا يَصَلُّونَ،
وَفِي رَمَضَانَ يَجَاهِرُ أَنْاسٌ بِالْفَحْشِ وَالْكِبَائِرِ، فَمَنْ الَّذِي فَرَّقَكَ عَنْ هَؤُلَاءِ
وَمَيَّزَكَ بَيْنَهُمْ؟ هُوَ فَضْلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

لَوْ شَاءَ رَبُّكَ كُنْتَ أَیْضًا مِثْلَهُمْ فَالْقَلْبُ بَيْنَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ
فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي جَعَلَكَ فِي هَذِهِ الْحَالِ مِنَ الْإِقْبَالِ عَلَيْهِ، وَرَجَاءِ مَا عِنْدَهُ،
وَالْمَسَارَعَةِ إِلَى طَاعَتِهِ، وَالْحَرَصِ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ فِي مَوْسَمِ الْبَرَكَاتِ؛ يَنْبَغِي
أَنْ تَنْكَسِرَ لَهُ، وَأَنْ تَعْرِفَ أَنَّهُ بَعُونَهُ وَفَضْلَهُ وَرَحْمَتَهُ تَسِيرُ لَكَ هَذَا الْخَيْرُ، وَأَنْ
هَذَا الْخَيْرُ يَنْبَغِي أَنْ تَقَابِلَهُ بِالرَّغْبَةِ وَالطَّمَعِ فِيمَا عِنْدَهُ، وَأَلَّا تَرَى لِنَفْسِكَ شَيْئًا.

وَلِذَلِكَ كَانَ كُفْلُ الْخَلْقِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يَقْرؤون بِحَالِ الْإِنْكَسَارِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فَالْأَبْوَانُ آدَمُ وَحَوَّاءُ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمَّا وَقَعَ مِنْهُمَا الذَّنْبُ قَالَا: ❖

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ [الأعراف]، هَذَا

ذَنْبٌ وَاحِدٌ اسْتَحْضَرَا بِهِ هَذَا الْمَعْنَى مِنَ الْإِنْكَسَارِ لِلَّهِ! وَنَحْنُ الَّذِينَ لَنَا ذُنُوبٌ وَذُنُوبٌ هَلْ نَشْهَدُ هَذَا الْمَعْنَى فَنَكُونُ مِنْكَسِرِينَ لِلَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لَذُنُوبِنَا الَّتِي اقْتَرَفْنَاهَا، وَسَيِّئَاتِنَا الَّتِي أَتَيْنَاهَا؟!

وموسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (٢٤) [القصص]؛ فَأَقْرَبُ بَفَقْرِهِ وَحَاجَتِهِ وَعِوْزُهُ إِلَى اللَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** فِيمَا أَنْزَلَهُ مِنَ الْخَيْرِ. وَهَذَا الْخَيْرُ لَيْسَ مَجْرَدُ مَا يَكُونُ الْإِنْسَانُ فِيهِ مِنْ مَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا! **بَلْ أَعْظَمُ الْخَيْرِ: أَنْ جَعَلَكَ اللَّهُ عَبْدًا لَهُ**، فَجَعَلَكَ مُسْلِمًا مُوَحِّدًا، وَلَمْ يَجْعَلَكَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا، وَلَا مُشْرِكًا وَثْنِيًّا، ثُمَّ قَلَّ بَعْدَ هَذَا مَا شَتَّ مِنَ الْخَيْرِ. فَكُلُّ هَذَا الْخَيْرِ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ يَنْبَغِي أَنْ يَجْعَلَكَ كَمَا كَانَ عَلَيْهِ مُوسَى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** مِنَ الْإِنْكَسَارِ فِي افْتِقَارِهِ وَحَاجَتِهِ لِلَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

وَالْعَاقِلُ إِذَا زَادَهُ اللَّهُ خَيْرًا، أَزَادَ اللَّهُ انْكَسَارًا؛ فَإِذَا زَادَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنَ الْإِقْبَالِ عَلَيْهِ، وَمُنَاجَاتِهِ، وَالْأُنْسِ بِهِ، وَالْحَرَصِ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَرَوَاتِبِهِنَّ، وَالصَّيَامِ، وَالْقِيَامِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَالصَّدَقَةِ، وَالذِّكْرِ، وَالدُّعَاءِ، وَالِاسْتِغْفَارِ = يَنْبَغِي أَنْ تُظْهِرَ لِلَّهِ حَاجَتَكَ وَفَاقَتَكَ، وَأَنَّكَ لَا غِنَى لَكَ عَنِ اللَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ. وَقَلِّ مِثْلَ هَذَا فِيمَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ خَيْرٍ مَادِّيٍّ؛ مِنْ صِحَّةٍ، وَعَافِيَةٍ، وَأَمْنٍ، وَرِخَاءٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْآلَاءِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تَجْعَلَ الْعَبْدَ مِنْكَسِرًا لِلَّهِ **عَزَّ وَجَلَّ**.

وهذا محمدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهو أعظم الناس انكساراً لربه وتواضعاً له - كان يقوم الليل حتى تنفطر قدماه - أي تتشقّق -، فكانت عائشةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تقول له: يا رسول الله؛ أتصنع هذا وقد غفر لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟! فيقول: «يَا عَائِشَةُ؛ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟!»^(١).

فمهما بلغت من محبة الله، والإقبال عليه، وإظهار طاعةٍ منكسراً له؛ ينبغي أن تتذكّر أنّه ينبغي عليك أن تزيد وأن تكون عبداً شكوراً لله.

وهذه المرتبة - مرتبة الشُّكْرِ - قليلةٌ في الناس؛ ولذلك قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝﴾ [الإنسان]؛ فقال: ﴿شَاكِرًا﴾، ولم يقل: (شكوراً)؛ لأنّ أكثر الناس شاكرٌ لا شكورٌ؛ ولذلك قال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ۝﴾ [سبأ]، لكن لما ذكر (الكفر) قال: ﴿كَفُورًا﴾ يعني أنّ كثيراً منهم يكفرون نعمة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فالشَّاكر قليلٌ، وأقلُّ من القليل: الشُّكُور؛ وهو الذي لا يزال يتّصل شكره لله بعضه ببعضٍ، ويعلم أنّه مهما شكر لله فحقُّ الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أعظم.

فينبغي للمرء - ونحن على مَشَارِفِ انقضاء رمضان، أعاده الله علينا وعليكم بالعفو والعافية، والصَّحَّةِ والإيمان - أن ينكسر لله، وألّا يغرّ بأعماله،

(١) أخرجه البخاريُّ (٤٨٣٧) ومسلمٌ (٢٨٢٠)، من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

وَأَنْ يَعْلَمَ أَنَّ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ هُوَ مِنَ اللَّهِ، وَأَنَّ هَذَا الْخَيْرَ الَّذِي هُوَ فِيهِ
يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ مَقَرًّا لِرَبِّهِ بِنِعْمَتِهِ، مُعْتَرِفًا بِهَا، سَائِلًا اللَّهَ الزَّيَادَةَ مِنْهَا، حَرِيصًا
عَلَيْهَا، مُبْقِيًا لَهَا فِي نَفْسِهِ وَفِي زَوْجِهِ وَفِي أَهْلِهِ؛ فَالْتَّلِذُّ بِالطَّاعَاتِ، وَالثَّبَاتُ
عَلَيْهَا؛ يَفُوقُ كُلَّ نِعْمَةٍ فِي الدُّنْيَا.

وَإِذَا أَوْصَلَكَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ، فَكُنْ لَهُ مُنْكَسِرًا، وَعَلَيْهَا حَرِيصًا،
وَمِنْهُ سَائِلًا الزَّيَادَةَ، وَإِيَّاكَ وَالْإِغْتِرَارَ بِأَعْمَالِكَ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَعُدَّ أَعْمَالَكَ.

كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «عُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ، فَأَنَا ضَامِنٌ أَلَّا يَضِيعَ مِنْ
حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ»^(١) يَعْنِي عُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ لَتَبْكُوا عَلَيْهَا وَتَسْتَغْفِرُوا مِنْهَا،
وَحَسَنَاتِكُمْ لَنْ تَضِيعَ أَبَدًا؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ الذَّرَّةُ لَا
تُظْلَمُهَا! ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفَهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النِّسَاء: ٤٠].

فَلَا تَحْمِلُوا هَمَّ حَسَنَاتِكُمْ، وَلَكِنْ احْمِلُوا هَمَّ سَيِّئَاتِكُمْ.

وَمِنْ حَمَلِ هَمِّ السَّيِّئَاتِ؛ انْكَسَرَ وَلَمْ يَغْتَرَّ؛ كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
«إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذَنْبَهُ كَأَنَّهُ فِي أَصْلِ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى
ذَنْبَهُ كَذَبَابٍ وَقَعَ عَلَى أَنْفِهِ، قَالَ بِهِ هَكَذَا فَطَارَ»^(٢) يَعْنِي يَخَافُ أَنْ يَكُونَ ذَنْبُهُ
هَذَا الَّذِي فَعَلَهُ سَبَبًا لَغَضَبِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَيْهِ.

(١) أَخْرَجَهُ الدَّارِمِيُّ (٢١٠).

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٤٩٧).

والعبد لا يدري متى يُؤاخذ بذنوبه، ومتى تخذله ذنوبه؛ فمن واقع ذنبًا

- وكلنا ذاك - لا يزال يحرص على الاستغفار والتَّوبة.

وقد قال الله عزَّ وجلَّ في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي؛ إِنَّكُمْ تُذْنِبُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ»^(١)؛ فبين أننا نواقع الذُّنُوب، ثمَّ قال لنا: «فَاسْتَغْفِرُونِي»، فأمرنا بالاستغفار، ثمَّ وعدنا بالمغفرة فقال: «أَغْفِرْ لَكُمْ».

ومهما بلغ الإنسان من السيئات، فمغفرة الله عزَّ وجلَّ أعظم.

وفي الحديث: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا؛ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةً نَفْسٍ؛ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟! انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أَنْسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ، فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سُوءٍ، فَاَنْطَلِقْ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧)، من حديث أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتَهُمَا كَانَ أَذْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَذْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ»، قال قتادة: فقال الحسن: «ذَكَرَ لَنَا أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَأَى بِصَدْرِهِ!»^(١)، وفي لفظٍ: «فَكَانَ إِلَى الْقَرْيَةِ الصَّالِحَةِ أَقْرَبَ مِنْهَا بِشَبْرٍ، فَجُعِلَ مِنْ أَهْلِهَا»^(٢).

فهذا قتل مائة نفسٍ، وقتل نفسٍ واحدةٍ كبيرةٌ من الكبائر، فكيف إذا كانت مائة نفسٍ؟! لكنه عقد النية على أن يتوب إلى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وصدق مع الله **عَزَّوَجَلَّ**؛ فرحمه الله **عَزَّوَجَلَّ**؛ وهكذا ينبغي أن نكون نحن: لا نغترُّ بأعمالنا، ونخاف من ذنوبنا، ونرجو رحمة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

قال الله **تَعَالَى**: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقال **تَعَالَى**: ﴿نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السَّجدة: ١٦].

فينبغي أن يحرص الإنسان على جمع هذين الأمرين: خوف الله، والطَّمَع في رحمته؛ ولا يغترُّ بأعماله، وينكسر لربه = فيجد الخير في الدنيا والآخرة.

(١) يعني أن الملائكة لما قاسوا ما بين القريتين وجدوه أقرب إلى قرية الطاعة بدفعة صدر؛ أي لَمَّا جاءه الموت دفع صدره، فصار أقرب بأقل من شبر.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٦٦)، من حديث أبي سعيد الخدري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

أَسْأَلُ اللَّهَ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أَنْ يَرْزُقَنَا خَيْرَهُ، وَأَنْ يَهْدِيَنَا سَبِيلَهُ، وَأَنْ يُوَفِّقَنَا لَطَاعَتِهِ.

اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ، وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكُرِّهِ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الرَّاشِدِينَ.

اللَّهُمَّ آتْ نَفُوسَنَا تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرَ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا.
اللَّهُمَّ كَمَا قَرَّبْتَنَا مِنْ تَمَامِ هَذَا الشَّهْرِ؛ فَارْزُقْنَا خَتَامَهُ، اللَّهُمَّ بَلِّغْنَا خَتَامَهُ،
اللَّهُمَّ بَلِّغْنَا خَتَامَهُ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ صَامَهُ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ قَامَهُ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا.
اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ خَتَمَ لَهُ رَمَضَانٌ بِالْفُوزِ بِالْجَنَّةِ، وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ.
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ^(١).

تَسْمِيَةُ

(١) كلمة أُلْقِيَتْ عَصْرَ الْإِثْنَيْنِ الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ، سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ بَعْدَ الْأَرْبَعِمِائَةِ وَالْأَلْفِ، بِجَامِعِ مَصْعَبِ بْنِ عَمِيرٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، بِمَدِينَةِ الرِّيَاضِ، وَمَدَّتْهَا: سَبْعَةُ عَشَرَ دَقِيقَةً.